

أيام على غيابه

بقلم الياس عون

من منا، نحن الصحافيين المناضلين منذ فجر الاستقلال، لا يفيض ويستفيض في الكلام، والثناء والإكبار، كلما عادت الايام تذكركمنا بعميد دار الصياد، المؤسسة التي نشأت جنباً الى جنب مع ولادة الوطن الجديد.

لا ابالغ ابدا اذا ما ذهبت الى القول إن سعيد فريحة كان اعجوبة زمانه. كان اعجوبة بكل ما للكلمة من معنى. لا يكفي ان تشير الى كونه عصامياً، لانه فعل ما لم يفعله احد في كل زمان ومكان. الولد الامي الفقير، صبي الحلاق، لا ندري كيف امسك الحرف وكيف تعلم. كل يوم كان يضرب ويهان، لا لشيء إلا لانه راح يقتني الكتب، وصار يقرأ كما لم يقرأ احد من قبله.

امسك الامية من عنقها وخنقها، ثم راح يكتب، اجل صار الامي كاتباً، وبدأ يرسل الصحف. وبدأ العراق مع الفقر حتى رماه على قارعة الطريق، بقلمه قتل الفقر وخلفه وراءه في حلب. وعاد الى بيروت مجلبياً بالحنين، مزوداً الايمان، ساعياً في عداد الساعين الى الشهرة والمجد. وكان، بعد كر وفر، والتنقل بين صحف العاصمة المستقلة حديثاً، والتوسع في معايشة اهل السياسة والرأي، ان انشأ مجلة "الصياد" التي كانت النواة لمؤسسة هوف تغدو - في سنوات قليلة - امبراطورية صحافية متكاملة الاجزاء.

واعظم ما في سعيد فريحة أنه، بعد مغادرته دار الفناء، مستمر في رسالة العطاء عبر انجاله عصام وبسام والهام. ابناء سعيد فريحة يكملون تراث الرجل الذي بنى نفسه بنفسه، وغدا المثل، والقُدوة الصالحة في المواطنة وكرامة الانسان.

خواطر مرت ببالي، وانا اقرأ في نهم وتلذذ كتاب الهام فريحة "أيام على غيابه" الذي تقول في مقدمته انها ليست "ادبية" بالمعنى المألوف للكلمة، لكنني اقول لها بكثير من الطمأنينة والارتياح إنها ادبية وحبّة مسك، وان كتابها اكثر من جيد وجميل، انه كتاب عظيم، مميز ببساطته الاخاذة، غني بفكره وعناصره الجمالية.

كتابك هذا، ايتها العزيزة الغالية. يا ابنة صديقنا الكبير الغالي، اصدقك القول إنني من المعجبين بأسلوبه العفوي، وغوصه بلباقة قل نظيرها في العضلات الكبيرة والصغيرة، وتماديه في نقد بناء، لاذع احياناً، لكنه طريف ممتع. ألا يقال "إن فرخ البط عوام"، فليس بالكثير على ابنة سعيد فريحة ان تكون سر ابيها العظيم. وعذراً منك، يا صديقتي العزيزة، فقد احببت "نادرة السعيد" قبل ان اعرف انها انت.